الجوانب الفكرية للرسوم والنقوش في الصحراء الليبية خلال عصور ما قبل التاريخ

د. التوفيق مسعود الهادي راشد

كلية الآداب / الاصابعة

قسم التاريخ

ملخص البحث :

منذ عصور موغلة في القدم كانت الصحراء الكبرى عامة والصحراء الليبية خاصة تعج بالخيرات، حيث تكثر بها الوديان المليئة بالمياه والواحات، وكانت الجبال الداكنة التي نراها اليوم تكسوها الاعشاب والغابات وبها الكثير من الحيوانات مثل الفيلة والزرافة وفرس النهر والتماسيح والنمور والنعام فكانت بمثابة حديقة لشتى أنواع من الحيوانات .

كان لابد من قيام حضارات عريقة في تلك الصحراء التي كانت في يوم من الايام ذات كثافة سكانية فظهرت حضارة الصيادين، وهم الذي عبروا عن حياتهم اليومية بالرسم والنقش على الجدران للتعبير عن نشاطهم وحياتهم اليومية، فرسموا أنفسهم وهم يلبسون جلود الحيوانات لتمويه الحيوانات على جدرانهم، ونقشوا على الصخور الشباك المستخدمة في عمليات الصيد ورسموا الأقنعة لأشكال الحيوانات المراد صيدها، والأسلحة الأخرى التي كانوا يستعملونها في الصيد مثل السهام والأقواس والحراب امّا الرعاة فقد جاءت رسوماتهم ونقوشهم أروع من الصيادين، حيث استعملت الألوان في الرسم وحاول فيها الفنانون إظهار حركة الحيوان والأنسان، ولذلك برعوا في فن الرسم والنقش فأصبح من الطبيعي معرفة نمط حياتهم اليومية ونشاطاتهم وخير أمثلة على ذلك تلك الرسومات والنقوس التي وجدت على ضفاف الأودية وداخل الكهوف وجدران الجبال، مثل وادي برجوج وأودية فزان وجبال الاكاكوس وتيبستي وتاسيلي وغيرها .

ومن هذا المنطلق جاءت أهمية هذا البحث وحتى تكون دراسته سهلة وميسرة تم تقسيمه الى مباحث.

المبحث الاول : تناول تعريف الرسوم والنقوش الصحراوية والأدوات المستخدمة في ذلك .

المبحث الثاني : تناول أهم الآراء التي دارت حول ظهور الرسومات والنقوش الصحراوية .

المبحث الثالث : الصحراء الليبية مهد الرسوم والنقوش الصحراوية .

Research summary:

Since ancient times, the Sahara Desert in general and the Libyan Desert in particular were full of good things, with many valleys filled with water and oases, and the dark mountains that we see today were covered with grass and forests. With it Many animals such as elephants, giraffes, hippopotamuses, crocodiles, tigers and ostriches were present, making it a garden for all kinds of animals.

Civilization had to be established at Ancient in that desert that was One day The population density led to the emergence of the civilization of hunters, who expressed their daily lives by drawing and engraving on the walls to express their activity and daily life. They drew themselves wearing animal skins to camouflage the animals on their walls, and engraved on the rocks the nets used in hunting operations and drew masks for the shapes of the animals to be hunted, and other weapons that they used in hunting such as arrows, bows and spears. As for the shepherds, their drawings and engravings were more wonderful than the hunters, as colors were used in drawing and the artists tried to show the movement of animals and humans. Therefore, they excelled in the art of drawing and engraving, so it became natural to know their daily lifestyle and activities. The best examples of this are those drawings and engravings that were found on the banks of valleys and inside caves and mountain walls, such as the Barjouj Valley, the valleys of Fezzan and the mountains. ALacacos, Tibesti, Tassili and others.

Hence the importance of this research .To make its study easy and convenient, it was divided into sections..

المقدمـــــــــة :

منذ عصور موغلة في القدم كانت الصحراء الكبرى عامة والصحراء الليبية خاصة تعج بالخيرات، حيث تكثر بها الوديان المليئة بالمياه والواحات، وكانت الجبال الداكنة التي نراها اليوم تكسوها الاعشاب والغابات وتوجد في الصحراء الكثير من الحيوانات مثل الفيلة والزرافة وفرس النهر والتماسيح والنمور والنعام فكانت بمثابة حديقة لشتى أنواع من الحيوانات .

كان لابد من قيام حضارة عريقة في تلك الصحراء التي كانت ذات كثافة سكانية فظهرت حضارة الصيادين، وهم الذي عبروا عن حياتهم اليومية بالرسم والنقش على الجدران للتعبير عن نشاطهم وحياتهم اليومية، فرسموا أنفسهم وهم يلبسون جلود الحيوانات لتمويه الحيوانات على جدرانهم، ونقشوا على الصخور الشباك المستخدمة في عمليات الصيد ورسموا الأقنعة لأشكال الحيوانات المراد صيدها، والأسلحة الأخرى التي كانوا يستعملونها في الصيد مثل السهام والأقواس والحراب امّا الرعاة فقد جاءت رسوماتهم ونقوشهم أروع من الصيادين، حيث استعملت الألوان في الرسم وحاول فيها الفنانون إظهار حركة الحيوان والأنسان، ولذلك برعوا في فن الرسم والنقش فأصبح من الطبيعي معرفة نمط حياتهم اليومية ونشاطاتهم وخير أمثلة على ذلك تلك الرسومات والنقوس التي وجدت على ضفاف الأودية وداخل الكهوف وجدران الجبال، مثل وادي برجوج وأودية فزان وجبال لاكاكوس وتيبستي وتاسيلي وغيرها .

ومن هذا المنطلق جاءت أهمية هذا البحث .

ويهدف البحث بالدرجة الأولى إلى تسليط الضوء على معرفة المزيد من المعلومات حول الرسومات والنقوش في الصحراء الليبية الموجودة في أماكن متعددة ، وتعد حسب ما ذكره الباحثون بأنها كانت مهد الانسان القديم، وإن رسوماتها تغطي فترات زمنية طويلة من تاريخ الإنسان القديم لدرجة عرفت تلك الفترة بعصر الجرمنت الذين سيطروا على تلك الصحراء ودروبها، وتبين هذه الرسومات والنقوش علاقة الليبيين بالحضارت الاخرى.

وتكمن إشكالية البحث في أسئلة ثلاث هي : وهو كيف تمكن الإنسان القديم من معرفة الرسم والنقش على الصخور؟ وما الأسباب التي دعته إلى ذلك؟ وكيف تطور بعد ذلك إلى تلوين رسوماته ؟

أما النطاق الجغرافي للرسومات الصخرية فإنها وجدت معظمها في الصحراء الليبية والجبال المحيطة بها، وخاصة فزان أي في المناطق البعيدة عن الساحل، وتركزت في مناطق وأودية فزان، ويشير معظم الباحثين إلى أن الرسومات الصخرية في الصحراء الليبية لها أهمية كبيرة في كونها تغطي بمواضيعها كامل فترات فن الرسومات والنقوش الصخرية في تاريخ الإنسان القديم .

والمنهج المناسب لهذه الدراسة هو المنهج التاريخي التحليلي لحاجة بعض المعلومات إلى تفكيكها وتحليلها.

تساؤلات الدراسة :

- هل كانت الرسومات الصخرية لأغراض دينية فقط ؟ أم أنها كانت لسد أوقات الفراغ لدى الانسان القديم ؟
- ما الدوافع وراء ميول الانسان القديم إلى الرسم والنقش؟
- هل كان رسمهم للحيوانات بكثرة الهدف منه معرفة أماكن ضعفها ومن ثم اصطيادها؟ أم لوازع ديني.

- هل كان للصحراء دور في دفع الإنسان القديم وميوله للرسم بدل اكتشاف رموزا يكتب بها ؟

الكلمات المفتاحية : الصحراء الليبية /الرسوم الصخرية / فزان / الإنسان القديم .

وقسمت هذه الدراسة الى ثلاثة مباحث :

المبحث الاول : تناول تعريف الرسوم والنقوش الصحراوية والأدوات المستخدمة في ذلك .

المبحث الثالث : أهم الآراء التي دارت حول ظهور الرسومات والنقوش الصحراوية .

المبحث الثالث : الصحراء الليبية مهد الرسوم والنقوش الصحراوية .

تعريف الرسوم والنقوش الصخرية :

تمثل الرسوم والنقوش ضرب من التعبير الإبداعي يتجسد في رسومات، ونقوش قام بها الإنسان القديم على سطوح صخرية، وفي داخل الكهوف وخارجها وعلى ضفاف الأودية أي في الهواء الطلق معرضة للهواء وضوء الشمس التي كان يقيم فيها الإنسان للتعبير عن كل ما يحيط به من الأشياء التي حوله، وتعد تلك الرسومات والنقوش البدايات الأولى قبل معرف الانسان للكتابة[1].

يشير خزعل الماجدي إلى إن التقنية المستعملة من طرف أقدم أصحاب الرسومات و النقوش تبدو في أعين الفنان المعاصر شيئاً خارقاً من حيث إن النقوش عميقة، ومتقنة مما يدل على أنها حفرت في الصخر أحياناً ورسمت على الجدار أحياناً أخرى وبجهد وصبر كبيرين مما أمكننا من التعرف على حياة الإنسان القديم في تلك العصور[2] .

الادوات التي استعملت في الرسوم والنقوش الصحراوية :

استعمل الانسان القديم عدة أدوات وطرق متعددة للرسم والنقش على الجدران والصخور منها على سبيل المثال أدوات على شكل حذوة الفرس (U) وأحياناً استعمل الانسان الصقل، وهو عبارة عن إعداد المكان أو الحجر قبل الرسم والتلوين، وهذه العملية تتم قبل بداية الرسم وغالبًا ما تكون في الرسومات الملونة، وهذه العملية ليست دائمة أو ضرورية، وهناك عملية أخرى استعملها الانسان القديم أيضا في النقش أو الرسم، وهي عملية التوتيد وهي عبارة عن الدق أو الطرق، وتمثل ضربات متتالية على المكان بواسطة أزاميل أو منقار وتقوم هذه العملية على ضربات مكثفة وعميقة ومحكمة[3] حيث يمسك المنقار بيد ويدق بحجر باليد الأخرى كما يفعل الآن النحاسين حتى يصل العمل إلى الشكل المطلوب وان هذه التقنية تحتاج الى جهد وصبر[4] وقد استخدم حجر الظران أو الصوان في النقش بحيث يكون للحجرحافة مدببة ربما ينظمها الانسان قبل بداية النقش(5)شكل(1).

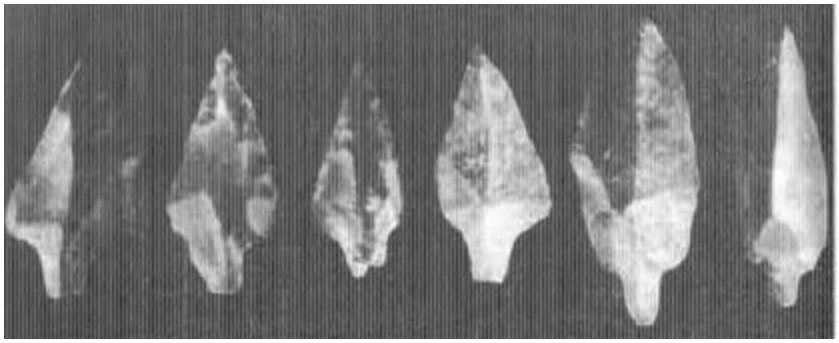

شكل (1) أدوات من حجر الصوان استخدمت في النقش والرسم.عن خزعل الماجدي، المرجع السابق، ص69. وكذا غانم، ص63 .

وهناك أيضًا طريقة التنقيط ، وهذه ربما تكون على مواد لينه وليس على أحجار صلبة مثل الرسم على بيض النعام وبعض الاشياء الاخرى اللينة ووصلت خبرة الانسان القديم الى استخدام الرمل كصنفرة أو تلميع للصقل وبلغوا في ذلك درجة عالية من الاتقان والجودة العالية(6).

كانت الالوان المستعملة متعددة منها الأحمرالأرجواني، والأخضر، والأبيض، والأصفر، والأسود، وحسب خبرات الإنسان القديم(7) .

كانت البدايات الأولى الشحم المحروق، وأحيانا مخلفات النار أي الأخشاب المحروقة، ثم تطورت الى الأصباغ المتعددة . وقد استعمل الانسان القديم الريشة في التلوين التي عادة ما تكون من ريش النعام و الطيور الاخرى وأيضاً من شعر بعض الحيوانات الأخرى واحيانا يستخدم الإنسان القديم أحد أصابعه في التلوين مع وضع المسحوق في كفه وقد استعان الإنسان العصا الطويلة للرسم في الاماكن العالية(8) ومن وجهة نظري هذه الطرق لازالت موجودة في الوقت الحاضر ومن خلال زيارات الباحث لجبال الأكاكوس لاحظ أن جل الرسومات والنقوش قد وجدت على الجهات الجانبية التي ربما كان يجلس بجانبها الإنسان أثناء وقت الفراغ واحيانًا على صخور خارجية مسطحة ومرتفعة وفي اماكن مكشوفة .

أهم الاراء التي دارت حول ظهور الرسومات والنقوش الصحراوية :

يشير ج. فلامند(G . Flamand) إلى أن أقدم تاريخ للرسوم الصخرية هو الألف السادس قبل الميلاد في حين يرى هـ . بروبل(H . Breuil) أن بداية الرسوم الصخرية تعود إلى نهاية العصر الحجري القديم الأعلى، وتحديدًا إلى فترة الحضارة القفصية العليا، ويضيف أن رسوم الحيوانات التي ظهرت متأخرة في فزان لا يستبعد أنها تعود إلى العصر الحجري الحديث(9) ويخالف هذا الرأي هنري لوت الذي يشير إلى أن الرسومات الطبيعية في الصحراء الليبية تعود الى الألف السادس قبل الميلاد إن لم يكن سابقة لذلك أم ج . كامبس (G . Camps) فيرجح إلى أن الرسوم الصخرية ذات الاسلوب الطبيعي والكبيرة الحجم التي تمثل الأبقار وغيرها تعود الى فترة زمنية واحدة(10) كما يشير فوفري في غانم إلى أن الرسوم الصخرية ذات الأسلوب الطبيعي والكبيرة الحجم هي من بين المظاهر الأولى للعصر النيولتي في المغرب القديم(11) .أمّا مهران فيشير إلى أن الرسومات الصخرية تمتد من حوالي منتصف الألف الثالثة قبل الميلاد وحتى

منتصف الأول قبل الميلاد(12) ويضيف موري أن الرسومات الصخرية يصعب تحديد تاريخها بدقة متناهية، ويرى أنها تعود لفترة تاريخية تسبق الألف الثامنة قبل الميلاد ويؤيد هذا الراي هنري لوت، ويضيف أن الرسومات التي ترجع إلى دورالرعاة تعود إلى فترة زمنية طويلة تبدأ مع نهاية الألف السادسة قبل الميلاد وتنتهي مع نهاية الألف الثالثة قبل الميلاد(13) ومهما تعددت الآراء في هذا الموضوع تبقى حقيقة الرسوم الصخرية شاهدا على حياة الإنسان القديم في الصحراء الليبية، والتي تعد مهد النبات والإنسان، والحيوان وتشهد تلك الرسومات والنقوش بأن هناك حضارات عريقة قامت فوقها وأنها كانت زاخرة بالبحيرات والانهار والعيون والوديان وتكسوها الغابات وبها شتى أنواع من الحيوانات وبها حركة بشرية، وتجارية من خلال تجارة القوافل الصحراوية.

الصحراء الليبية مهد الرسوم والنقوش الصحراوية :

تتميز ليبيا منذ القدم بموقع جغرافي مهم جعلها عرضة لشتى أنواع الاستعمار القديم، وإلى شعوب وافدة اليها وحضارات قديمة قامت على أرضها منها حضارة الفنيقيين والأغريق والرومان وغيرهما فهي بمثابة جسر لكثير من الشعوب المهاجرة بين الشرق والغرب ومن شمال البحر المتوسط إلى الصحراء الكبرى جنوبا، وبذلك لعبت الواحات الليبية في الصحراء الليبية دورا مهما في حركة الاستيطان والتحكم في طرق التجارة الصحراوية، ويشير هيرودوت الى أن ليبيا القديمة تمتد من نهر النيل في الشرق حتى أعمدة هرقل في الغرب ومن البحر المتوسط شمالا حتى الحدود الجنوبية التي تتغير حسب الظروف السياسية بين فترة وأخرى(14) .

لقد ورد اسم ليبيا في العديد من المصادر القديمة حيث تشير المصادر الفرعونية الى أن القبائل الليبية تمتد إلى الغرب من وادي النيل خلال الألف الثانية قبل الميلاد وأطلقوا عليهم اسم الليبو أو الريبو نسبة إلى إحدى هذه القبائل، وهي قبيلة الليبو المجاورة لوادي النيل، التي كانت في صراع مع الفراعنة(15). كما ورد اسم ليبيا في عدة مواضع من التوراة بلفظ لوبيين ولوبيون(16) وظهر الاسم أيضاً في النقوش الفنيقية على شكل لوبي ولبيت كما وجد اسم ليبيا على نقش في معبد للاله امون في المحيجيبة بالقرية الخضراء في ترهونه على شكل(لوبيم ارض الليبيين)(17) كما ورد الاسم عند الاغريق بمسميات عديدة فقد جاء على لسان هيرودوت على ان ليبيا في عصره هي إحدى قارات العالم القديم الثلاث ليبيا واسيا وأوربا(18) ثم أطلق الاسم على شمال أفريقيا ثم تقلص الاسم بعد ذلك وأصبح يطلق على قوريني (شحات الحالية)(19) وقد تداول الاسم الكتاب المسلمين أمثال ابن خرداذابة وابن عبد الحكم اسم ليبيا بمسميات مشابهة(20).

وهذا يعني أن الاسم كان متداولا منذ أقدم العصور القديمة غير إنه لم يأخذ معناه الحقيقي الا بعد الغزو الايطالي لليبيا عام 1911م (21) .

تشكل الصحراء الليبية الجزء الأوسط من الصحراء الكبرى، وهي المنطقة التي تشكل الجزء الأهم من الرسومات والفن الصخري؛ لأنها كانت خلال العصر الحجري القديم، والاوسط تعج بالنباتات والحيوانات والبشر والصحراء الليبية ليست كلها رمال، وإنما كانت هناك سلاسل جبلية مغطاه بالغابات بها الكهوف التي كانت مأوي للإنسان القديم، وهناك أيضا مرتفعات صخرية واودية جافة ربما كانت في يوم من الأيام فروع لأنهار دائمة الجريان مثل نهر النيل والنيجر يعلل ذلك وجود العديد من الرسومات لحيوانات مائية مثل : الأسماك ، حيث تظهر لنا الرسومات والنقوش صورا للصيادين وهم

يستعملون الحراب الشائكة الطويلة وهم واقفون في القوارب شكل(2) ويشير البعض إلى أن رسومات القوارب كانت موجودة في الصحراء الليبية وعلى حواف جبال الاكاكوس وزنككرا .

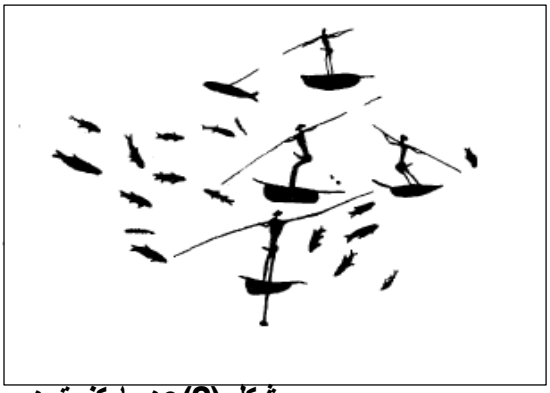

شكل (2)عن باركنجتون ، المرجع السابق،ص 661 .

لقد كان سكان الصحراء الليبية مجبورين على صناعة القوارب وذلك لوجود البحيرات والأنهار وأن تلك القوارب كانت من إنتاج أقوام ليبية ؛لان الفنون والرسومات في الصحراء الليبية كانت سابقة لفنون وادي النيل(22). كذلك وجدت رسومات للتماسيح وأفراس النهر مرسومة على تلك الأودية والصخور، وقد عاش الإنسان القديم داخل كهوف الجبال، وعلى ضفاف الأودية وعبر عن حياته اليومية بالرسم والنقش على الحجر؛ يعلل ذلك وجود العديد من الرسومات التي تؤكد ذلك، ومنها رسومات الفيل والزرافة والاسد والنمر والغزلان وحيوان المستدون الذي كان بحجم الفيل ويتغذى على نباتات كثيرة، ووجوده في الصحراء الليبية يدل على كثرة الغابات والمراعي فيها، وقد كان الإنسان يعبر في رسوماته عن العديد من أدوات الصيد التي كان يستعملها في صيد الحيوانات منها السهام والحراب والعصي وغيرها(شكل3).

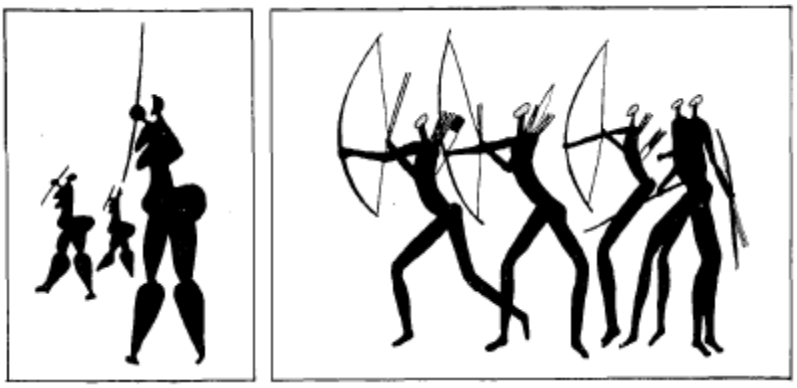

شكل (3) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

وعلى هذه الأودية والصخور وجدت العديد من الرسومات والنقوش ومنها وادي الآجال ومكنوسة وجبل زنككرا الذي شهد أعرق الحضارات وهي حضارة الجرمنت ووادي برجوج غربي فزان، ووادي غنيمة في شرقها(23) .

لقد كانت تلك الصحراء ذات ظروف صحراوية تختلف تماما عن الظروف الحالية من حيث خصوبة تربتها وغزارة أمطارها وكثرة أنهارها ومستنقعاتها، وبحيراتها تكسوها النباتات والغابات؛ مما ساعد على حياة الإنسان والحيوان على حد سواء(24) وهذا ما دلت عليه الرسومات والنقوش الصحراوية التي رافقت حياة الإنسان القديم فوجود بقايا الأشجار والحيوانات المتحجرة دلالة على أن الصحراء كانت في يوم من الأيام ذات مناخ ممطر يختلف عما هو عليه الآن ويعلل وجود الأدوات المتحجرة مثل الفؤوس الحجرية وغيرها على أنها كانت ذات نشاط سكاني وملائمة للحياة البشرية(25).

لقد عبرت الرسومات الصخرية والفن الصخري عن حضارات عريقة في تلك الفترات المبكرة، منها على سبيل المثال لا الحصر حضارة الصيادين، وربما يكون الصيادون هم أصحاب تلك الرسومات، ولقد عبرت تلك الرسومات عما يجول في خاطر الإنسان القديم وأفكاره ونشاطاته، وتعد الصحراء الليبية سجلا فنيا حافلاً و مكتملا لحياة الإنسان القديم، أمكن من خلالها معرفة حياته من جميع جوانبها(26) .

المراحل التي مرت بها الرسوم الصخرية :

مرت الرسوم والنقوش الصخرية بالعديد من المراحل قد تكون متشابهة إلى حد بعيد في مضمونها وأفكارها وقد قسم المؤرخون هذه الرسومات والنقوش الصخرية حسب الموضوعات التي وجدت من أجلها والمطابقة لها، وقد حددها المؤرخون في أربعة مراحل هي :

المرحلة الأولى ـــــــ تمثل الحيوانات التي تحتاج إلى كميات كبيرة من الأعشاب والمياه، وهي عديدة منها: الفيلة، ووحيد القرن، والتماسيح، وأفراس النهر، والأسود، والنمور، و الابقار، والزرافة وغيرها، وقد اطلق عليها الباحثون مرحلة الحيوانات الإستوائية .

المرحلة الثانية ـــــــ يلاحظ عن هذه الرسومات أنها تمثل أشكالًا بشرية صغيرة وذات رؤوس مستديرة(Lest etes Rondes) كبيرة ومبالغ فيها ربما يشير أصحاب هذه الرسومات إلى ملامح زنجية(27) وتعطي رسومات الرؤوس البشرية فكرة جيدة على الأقوام والقبائل التي تعيش في الصحراء الليبية في تلك العصور، وعن الأجناس البشرية التي كانت موجودة، وقد استخدم فيها الإنسان الألوان ومنها اللون الأحمر، والاصفر، و الاخضر، والاسود ويرجح ان هذه المرحلة ترجع الى الألف الثامنة قبل الميلاد(28) (شكل4) .

شكل(4) أشكال بشرية برؤس مستديرة نقلاً عن خزعل الماجدي ، المرجع السابق ، ص141 .

المرحلة الثالثة ـــــــــــــــــ تمثل دور الرعاة، وهذه المرحلة تمثل دور الإبداع لدى فنان تلك العصور حيث رسمت الاشكال بطريقة طبيعية ويبدو أن الرعاة كانوا يتتبعون حيواناتهم بالرسم وتتبع حركاتها وكذلك رسم الرعاة بعضهم بحيث نشاهد في الرسومات الرعاة، وهم خلف حيواناتهم، وقد حدد علماء الآثار هذه الفترة بحوالي نهاية الألف السادسة قبل الميلاد، وتنتهي مع نهاية الألف الثالثة قبل الميلاد .

المرحلة الرابعة ـــــــــــــــــ وتمثل قفزة نوعية في حياة الانسان القديم عرفت بالمرحلة الخيلية التي جسدت لوحات ورسومات ونقوش لرجال يركبون الخيول تجر العربات، وتدل على ظهور الحصان في الصحراء الليبية، وقد أطلق عليهم المؤرخون الليبيون الصحراويين سائقي العربات(29) (شكل (5).

شكل (5) العربات التي تجرها الخيول (متحف شحات) تصوير الباحث .

المرحلة الخامسة ـــــــ أطلق عليها مرحلة الجمل حيث ظهر الجمل في هذه الفترة مرسوما على الصخور باللون الأحمر، ويشير موري إلى أن دخول الجمل كان مع بداية تحول الصحراء إلى الجفاف والتي حددها العلماء مع بداية الألف الأولى قبل الميلاد تقريبا(30) .

وهذه التقسيم ليس هامشيًا، وإنما جاء بناء على تطور الفترات المناخية التي مرت بها الصحراء الكبرى عامة، والصحراء الليبية خاصة، وهي:

الفترة المطيرة الأولى، ثم فترة الجفاف الأولى بعدها،الفترة المطيرة الثانية، يليها فترة الجفاف الثانية، والتي لا زالت مستمرة حتى الوقت الحاضر(31) .

لقد رافقت الرسومات والنقوش الصخرية مرحلة العربة والحصان في تاسيلي والأكاكوس ومن الملاحظ أن هذه الرسوم والنقوش تكون هندسية وذات رسوم و زخارف مستقيمة وخطوط متقاطعة، مثل العربة التي تجرها الجياد، وقد رافقت تلك الرسومات أيضا عصر دخول الجمل في حوالي القرن الرابع الميلادي، فهناك نقوش صحراوية نقشت بشكل منقط ترافق صور الجمل(32)، وهي بمثابة كتابة تصويرية، مثلها مثل الكتابة الهيروغليفية والمسمارية؛ لذلك يمكن أن تكون الكتابة الليبية القديمة كانت بدايتها من تلك الرسومات والنقوش الصخرية، وعن طريقها تمكن الباحثون من معرفة الحياة اليومية للإنسان القديم من جميع جوانبها السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والدينية التي كان الإنسان القديم يتبعها في تلك الفترة، ففي فزان مثلا وتحديدا في جرمة كشفت التنقيبات على أمفورات، منقوشة فلم يخلّف الجرمنت كتابة تدل على طرق حياتهم و تفكيرهم وثقافتهم لكنهم تركوا لنا نقوشًا، ورسومات في أماكن سكناهم وتنقلاتهم، تدل على ذلك كله، فمن

العربات التي تجرها الخيول، الى حفلات الرقص التي كانوا يقيمونها في مناسبات مختلفة، إلى طرق صيدهم للحيوانات المتوحشة، إلى فنون الحرب والمصارعة كل ذلك يدل على أنهم لهم قدرة عالية على العلم والتفكير لذلك يشير الباحثون من ان الهدف إلى معرفة ما تحتويه هذه الرسومات والنقوش الصحراوية هو الوصول إلى حل إشكالية ظهور الكتابة الليبية القديمة، وهذا ما تم فعلًا وخلال تلك الفترة لم يهمل الرسامون رسومًا لأشكال بشرية، والوظائف التي كان يؤديها الإنسان القديم في الطبيعة، ومنها رسومات تظهر جماعة وهم يوجهون قطعانهم نحو المرعى، المراد الرعي فيه، وآخرون يقومون بعملية قنص للحيوانات ويرتدون جلود الحيوانات المراد صيدها وصور شباكهم واقنعة للتمويه، مثل أقنعة رؤوس الغزلان عند اقترابهم من الفريسة كما وجدت رسومات لها طابع سحري تعبدي مع وجود المعبودات، وبذلك أمكن التعرف على الآلهة والمعبودات التي كان الإنسان القديم يخشاها ويتقرب إليها(33) .

يرجع السبب في ذلك إلى تجسيد مشاعر الخوف والتضرع، كما ظهرت أنواع من الرسومات والنقوش انعكاسا لابتكار الكتابة ظهرت على المزهريات والامفورات، وكذلك على الأعمدة كما وجدت الرموز الهندسية مثل النقط والخطوط المنحنية والمتقطعة والمنكسرة، وكذلك المثلث والدائرة والمربع، فجاءت جل الرسومات في وضع حركي أحياناً ينبض بالحياة(34) .

على سبيل المثال هناك حيوانات رسمت بخطوط منكسرة اما الاشخاص فيتم رسمهم على شكل مثلثين متعاكسين يعلوهما عمود صغير يعلل ذلك وجود نقشاً على الحائط الصخري لجبل زنككرا يمثل شخصاً يمتطي جواداً وقد مثل فيه جسم الشخص بمثلثين متقاطعين والأطراف بخطوط مستقيمة والرأس على هيئة رأس السهم(35) فجاءت جل الرسومات في وضع حركي ينبض بالحياة، وعرف هذا العصر بعصر الصيادين؛ لان الموضوع الرئيسي الذي كان يفكر فيه الإنسان في تلك الفترة هو الصيد، وقد استخدم الإنسان طرق، وأدوات متعددة لصيد الحيوانات، وقد وجدت تلك الأدوات على جدران الكهوف والجبال والمغارات التي كان الإنسان يلجأ إليها، والملاحظ هنا أن صور هذه المرحلة لا تكتفي برسومات الحيوانات فقط وإنما الصور البشرية أيضا التي تمثل ام رجال عراة او رجال مسلحون(36) وقد قام الصيادون بتنفيذ تلك الرسومات بدقة وبأدوات بسيطة كانت مصنوعة من الحجارة وإن الموضوعات التي تناولتها تلك الرسومات والنقوش كانت موضوعات واقعية وهناك العديد من هذه الرسومات والنقوش في فزان مثل وادي برجوج ووادي تراغن) الذي تم اكتشاف أول صورة منقوشة فيه ووادي فضفاض في حمادة مرزق كذلك جبال الأكاكوس ومنطقة اربيكيِ(Arrechin) قرب غات(37) .

يشير باتيس إلى أن الرسم الجداري هو جزء لا يتجزأ من حياة الإنسان القديم اليومية، وخير دليل على ذلك رسم يمثل اثنين من الصيادين متنكرين بلباس حيوانات ربما لغرض التمويه ويقتربون من ثور وهذه عينه من فن التصوير البدائي، ورسم آخر يمثل حيوان يمشي نحو فخ نصب له، ويشاهد دقة الفنان في إظهار الأرجل الأربعة للحيوان، وجل هذه الرسومات تشير إلى أشياء متحركة، وتعكس هذه الرسومات محاولات لرسم اشياء كان الإنسان يراقبها، ويمثل ذلك لوحة يجرها حصانان تنطلق هاربة من صاحبها الذي يحاول اللحاق بها ويبيده سوطا(38) وهكذا فإن الإنسان القديم في الصحراء الليبية قد ترك لنا أجود الأعمال الفنية الحقيقية، ومن أهم الرسوم تلك الرسومات التي وجدت في وادي ماتخندوش التي تمثل زرافتين في حجمهما الطبيعي وخالية من العيوب كذلك رسوم لفيلة وقد وجدت في عين غليون رسومات تمثل فيلين في حجمهما الطبيعي متبوعة بصيادين يتأهب أحدهما بأطلاق النبال على الفيلة، ومن الرسومات التي

تمثل النقوش تلك التي تمثل نقشا لفرس النهر، وهي من اهم النقوش في جبال الأكاكوس وقد تأكد أن تلك الرسومات قد رسمت من الفنان نفسه(39) أيضا كان للرسومات الصخرية اهميتها لمعرفة أنواع من العبادات التي كان الإنسان القديم يقوم بها خلال عصور ما قبل التاريخ فهناك رسومات تتحدث عن الموت والحياة، وهناك رسومات تميل إلى تقديس بعض الظواهر الطبيعة مثل الآبار والعيون، أو بعض الحيوانات التي كان الإنسان يخشاها، وخير مثال على ذلك الكباش والثيران التي تحمل أقراص بين قرونها (رسم 6).

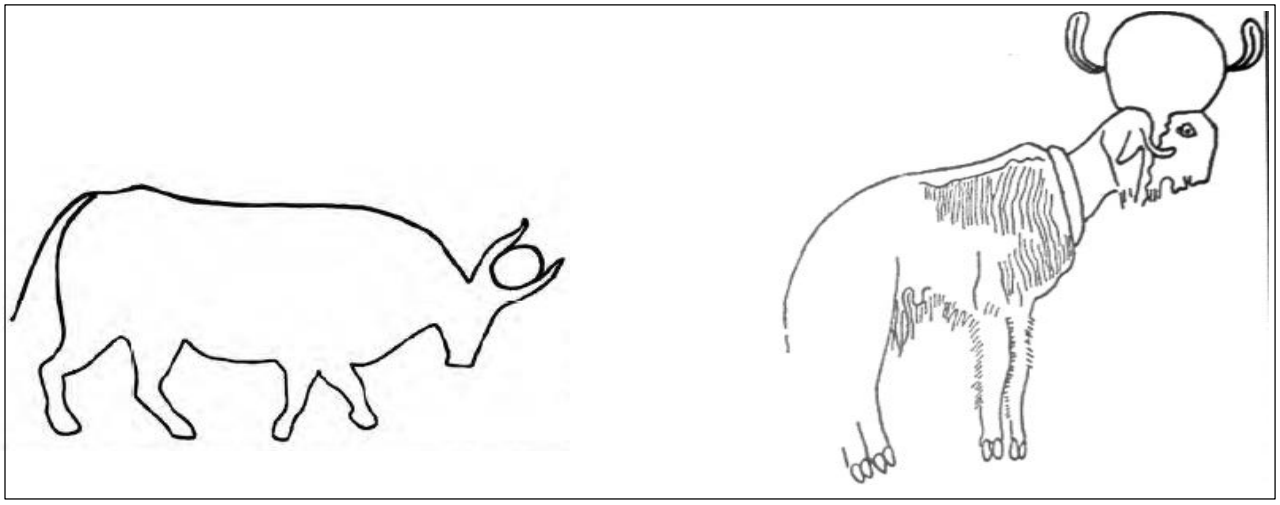

شكل (6) رسم يوضح كبش وثور يحملان قرصًا بين قرنيهما قدسهم الليبيون تحت مسمى الاله آمون . عن باتيس ، المرجع السابق ، ص197 . وكذا غانم ، المرجع السابق ، ص ص 154 ، 155 .

التي وجدت في الصحراء الليبية قبل وجودها في وادي النيل(40) ويدل وجود تلك الرسومات في الصحراء الليبية على أنها كانت ذات كثافة سكانية ليس هذا فحسب بل كانت تكثر بها الحيوانات أيضا، وبذلك لا نبالغ اذا قلنا إن الصحراء الليبية كانت بمثابة حضارة عريقة استمدت منها باقي الحضارات القديمة الأخرى طرق و حياة الانسان القديم عبر عصوره المختلفة(41) .

لقد أشارت الرسوم والنقوش الصخرية إلى أنواع الملابس التي كان يرتديها الليبيون القدماء، ويشير نوتن الذي أكتشف عددً كبيرًا من النقوش والرسوم الصخرية في جبل العوينات إلى وجود بعض أنواع من الملابس التي أظهرتها تلك الرسومات منها : العباءة الطويلة التي تتدلى من الأمام إلى الخلف والعباءة البيضاء(42) وعلى جبال الاكاكوس رسمت المرأة، وهي ترتدي تنورة وفي المكان نفسه أظهرت الرسومات رجل وهو يمارس حرفة الرعي، ويرتدي تنوره، ويحمل عكازا، وأظهرت الرسومات رجلًا يرتدي عباءة مثبتة بحزام عند الخصر بواسطة حزام أبيض والاكمام واسعة، وتعد العباءة من أشهر الألبسة التي عرفها الليبيون وقد ظهرت كثيراً في النقوش المصرية إلى جانب أن هذه الرسومات قد أوضحت لنا أدوات الزينة وأنواع الاحذية، التي كان يستعملها الليبيون في الصحراء الليبية وهكذا عن طريق الرسومات أمكننا معرفة أن هناك حضارة ليبية كانت قائمة في الصحراء الليبية لها الفضل الكبير على الحضارات الأخرى لمعرفة حياة الإنسان القديم من جميع الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية وإنتقالها إليها.

لقد أظهرت لنا الرسومات والنقوش العلاقة بين الحضارة الليبية والحضارات الأخرى منها الحضارة الفرعونية والفنيقية والاغريقية وعلى سبيل المثال أظهرت لنا الرسومات صورًا للقوارب والحيوانات التي وجدت على مقبض سكين جبل العرق في الوجه القبلي في وادي النيل ذلك أن القوارب كانت موجودة في الصحراء الليبية قبل وادي النيل كما أفادتنا صلاية الأسود التي ظهر عليها العديد من الرجال الذين يحملون العصي والرماح وأدوات الصيد، ويتحلى بعضهم بريشة أو خصلة من الشعر وهي صفة من صفات الصيادين الليبيين في الصحراء الليبية وأوضحت لنا صلاية منقوشة من الوجهين في الرسومات والنقوش الليبية بعض الحيوانات الموجودة في الصحراء الليبية من بينها الاسود والماعز والكلاب وغيرها كما أظهرت لنا الرسومات العديد من الحيوانات التي تحصل عليها الفراعنة من الليبيين كل ذلك يدل على ثراء الصحراء الليبية بالحركة من البشر والحيوانات المتعددة التي تم التعرف عليها من خلال تلك الرسومات والنقوش الصخرية، ولولا تلك الرسومات والنقوش ما أمكننا التعرف على حياة الانسان في تلك العصور الغابرة وتنوع الحضارات على الصحراء الليبية (43) .

الخاتـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــمـــــــــــة :

من خلال هذا البحث يتضح لدينا العديد من النتائج نذكر منها :

- أن هناك حضارة عريقة كانت على الصحراء الليبية أشارت إليها الرسوم والنقوش الصحراوية من صور لأشكال بشرية وحركة دائمة في الصحراء، وقد أسهمت الكثير من العوامل في قيامها مثل البحيرات والواحات والأنهار والأودية التي كانت ذات كثافة سكانية عالية أيضًا.
- أسهم الموقع الجغرافي للصحراء الليبية الواسعة التي تمتد من الشرق إلى الغرب إلى توافد العديد من الهجرات البشرية والحيوانية إليها التي استقرت في واحاتها وحول وديانها فقامت حضارة عريقة في وادي الآجال، وهي حضارة الجرمنت سكان الصحراء.
- تنوعت المراحل التي مرت بها الصحراء الليبية حسب تنوع الظروف المناخية فظهرت في البداية الحيوانات الضخمة التي تحتاج الى مراعي شاسعة وغنية بالحشائش وتحتاج إلى مصادر دائمة للمياه، وقد أشارت إليها الرسومات: مثل الفيلة والزرافة والفهود والنمور، وعرفت هذه الفترة بعصر الصيادين حيث أوضحت الرسومات والنقوش الصيادين وهم يحملون أدوات الصيد من عصي وهراوات وشباك وطرق تمويه للحيوانات.
- تعاقبت بعد ذلك اللوحات وتغيرت بتغير الظروف فظهرت أشكال بشرية لها رؤوس ضخمة ومبالغ في ضخامتها ورغم أننا لانفهم ما المقصود من ذلك؟ لكننا تمكنا من معرفة تطورحياة الإنسان القديم في استخدام الالوان في الرسم.
- تغير اسلوب الفنان في المرحلة الرابعة بعكس الثالثة حيث رسمت الحيوانات الملونة التي تتألف من أشكال لحيوانات وبأحجامها الطبيعية، وقد استأنس الإنسان بعض الحيوانات مثل الكلاب، والثيران، والماعز، والكباش بحيث أظهرت الرسومات الرعاة، وهم يسيرون خلف قطعانهم وتعرفنا من خلال الرسومات حياة الانسان الطبيعية .

- **لقد كان إنجاز هذه الرسومات يتطلب جهداً وعملاً طويلاً وشاقاً ولا شك إن الذين قاموا بهذه الرسومات كانوا يستجيبون لدواعي اخرى غير فهمهم للطبيعه منها الطابع الديني ويؤكد ذلك رسومات الكباش التي تحمل اقراص بين قرونها والمنتشرة في اماكن عديدة كان الانسان القديم يسكن فيها او يرتادها .**
- **أظهرت لنا الرسومات معرفة علاقة الليبيين مع الحضارات الاخرى مثل الحضارة الفرعونية والفنيقية والاغريقية وغيرها.**

قائمة المصادر والمراجع :

(1) أبراهيم موسى ، محمد المضامين الحضارية والبيئية القديمة للصحراء الليبية من خلال لوح (ات الفن الصخري مجلة كلية الآداب والتربية ، جامعة قار يونس ، العددان 19 ، 20، 1995، ص ص 172 ، 173 .

(2) خزعل الماجدي ، كنوز ليبيا القديمة ، دار زهوان للنشر والتوزيع ، 2008 ، ص86 .

(3) خزعل الماجدي ، نفسه ، ص96 .

(4) محمد الصغير غانم ،مواقع وحضارات ما قبل التاريخ في بلاد المغرب القديم ، دار الهدى ، عين مليله ، الجزائر 2003 ، ص166 .

(5) فايز أنور عبد المطلب ، الفن الصخري في أقليم فزان في مرحلة الصيد والرؤوس المستديرة(دراسة تحليلية مقارنة)، منشورات المركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية ، 2014 ، ص44 .

(6) شارل أندريه جوليان ، تاريخ أفريقيا الشمالية(تونس ، الجزائر ، المغرب الاقصى) من البدء إلى الفتح الاسلامي647م ، ت، محمد المزالي ، البشير بن سلامة ، الدار التونسية للنشر ،1969م ص ص 58، 60 .

(7) خزعل الماجدي ، المرجع السابق ، الصفحات 90، 170 ، 216 ، 218 .

(8) فابر يتشيو موري ،تادارات أكاكوس(الفن الصخري وثقافات الصحراء قبل التاريخ ، ت، عمر الباروني وفؤاد الكعبازي ، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ،1988 ، ص42 وما بعدها

(9) محمد غانم ، المرجع السابق ، ص ص 150 ، 151 . وكذا خزعل الماجدي المرجع السابق ، ص85 .

(10) ج. كامب ، البربر الذاكرة والهوية ، ت، جاد الله عزوز الطلحي ،منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، 2005 ، ص87 وما بعدها .

(11) محمد غانم ، المرجع السابق ، 153 .

(12) مهران ، المرجع السابق ، ص52 .

(13) موري ، المرجع السابق ، ص247 .

(14)Herodotus , Histoire , iv , 42 . Strabo , xvii,iii , 1 .

(15) محمد علي عيسى ، الجذور التاريخية لسكان المغرب القديم من خلال المصادر الاثرية والانثروبولوجية واللغوية ، دار الاصالة والمعاصرة ، 2009 ، ص88 .

(16) الكتاب المقدس (العهد القديم والجديد) أخبار الايام الثاني عشر ، دار الكتاب المقدس ، 1990 ، ص 531 .

(17) عبد الحفيظ فضيل المبار ، دراسة تحليلية للنقائش الفنيقية البونية في أقليم المدن الثلاث، جامعة الفاتح ، 2005م ، ص96 .

(18) Herdotus , op . cit , 42 .

(19) مصطفى كمال عبد العليم ، دراسات في تاريخ ليبيا القديم ، منشورات الجامعة الليبية ، بنغازي ، 1966 ، ص1 .

(20) أبن خرداذابة ، المسالك والممالك ، مكتبة المثنى ، بغداد ، د.ت ، ص90 ، 91 .

(21) محمد مصطفى بازامة ، ليبيا هذا الاسم في جذوره التاريخية ، وزارة الانباء ، طرابلس ، 1965 ، ص6 .

(22) باركنجتون ،الصيادون وجامعو الطعام ، تاريخ أفريقيا العام ، مج2 ، جين أفريكو ،اليونيسكو ، ص661 .

(23) عبد اللطيف محمود البرغوثي ، التاريخ الليبي القديم من أقدم العصور حتى الفتح الاسلامي ، دار صادر ، 1971م ، ص ص 27، 29 .

(24) هـ . ج هوغو ، الصحراء فيما قبل التاريخ ، تاريخ أفريقيا العام ، مج1 ، جين أفريكو ،اليونيسكو ، 1988 ، ص591 .

(25) ب. سلامة ،الصحراء في التاريخ القديم ، تاريخ أفريقيا العام ،مج2 ، جين أفريكو ، اليونيسكو ، د.ت ، ص533 .

(26) موري ، المرجع السابق ،ص135 ــ 264 .

(27) خزعل الماجدي ، المرجع السلبق ، ص90 .

(28) موري ، المرجع السابق ، ص196 وما بعدها .

(29) محمد علي عيسى ، المرجع السابق ، ص 59 .

(30) موري ، المرجع السابق ، ص 246 .

(31) عبد اللطيف البرغوثي ، المرجع السابق ، ص ص 29 ، 30 .

(32) أوريك بايتس ، الليبيون الشرقيون ، ت، محمد أومادي ومروة شحاتة ، دار الفرجاني ، 2015 ، ص104 .

(33) أحمد عبد الحليم دراز ، مصر وليبيا فيما بين القرن السابع والقرن الرابع ق.م ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 2000 ، ص ص 233 ، 234 .

(34) محمد مهران ، المرجع السابق ، ص50 .

(35) محمد سليمان أيوب ، جرمة من تاريخ الحضارة الليبية ، دار المصراتي للطباعة والنشر والتوزيع ، طرابلس ، 1969 ، ص168 .

(36) باول جراتسيوس ، دليل الفن الصخري في الصحراء الليبية، ت، أبراهيم أحمد المهدوي ، منشورات جامعة قار يونس ، بنغازي ، 2008 ،ص34 .

(37) ج. كي . زيربو ، الفن الصخري فيما قبل التاريخ ، تاريخ أفريقيا العام ،ج1 ، جين أفريكو ، اليونيسكو ،1980 ، ص688 .

(38) بايتس ، المرجع السابق ، ص ص 161 ، 162 .

(39) أيوب ، المرجع السابق ، ص168 .

(40) باول جراتسيوس ، المرجع السابق ، ص35 .

(41) محمد مصطفى بازامة ، تاريخ ليبيا عصور ما قبل التاريخ ، ج1 ، منشورات الجامعة الليبية ، بنغازي ، 1973 ، ص ص 230 ، 231 .

(42) أصطفيان أكصيل ، تاريخ شمال أفريقيا القديم ،ج1 ، ت، محمد التازي سعود ، مطبعة المعارف الجديدة ، الرباط ، ص 212 .

(43) فرانسيس فان نوتن ، اكتشاف رسوم صخرية في جبل العوينات ، منشورات مركز جهاج الليبيين للدراسات التاريخية ، 1965 ،ص ص 117 ، 118 . وكذا خزعل الماجدي ، المرجع السابق ، ص79 . وموري ، المرجع السابق ، ص161 .